

التحولات الديموغرافية للتركيبة البشرية بمدينة وهران

من الربع الثاني للقرن التاسع عشر إلى غاية المنتصف الأول من القرن العشرين

جميلة حيدرة

أستاذ مساعد

المركز الجامعي . غليزان

djamilahaidra@gmail.com

ملخص

يناقش البحث موضوع التحولات الديموغرافية لسكان مدينة وهران، والتي ستؤثر لاحقا على تنوعها بين سكان أصليين وهم الجزائريين وأوروبيين مهاجرين رافقوا التوسع الاستيطاني لفرنسا في الجزائر، فتحوّلت نتيجة ذلك، مدينة وهران كنموذج إلى مدينة مقسمة حضريا بين أحياء متميزة بطبقاتها الاجتماعية حيث عبرت كل طبقة عن انتماء محدد. كذلك، يقدم البحث وصفا تاريخيا للهجرة الأوروبية التي تعرضت لها المدينة، حركة ديموغرافية رافقت الاستيطان الفرنسي منذ سنواته الأولى من القرن التاسع عشر إلى غاية منتصف القرن العشرين (1830-1962).

Résumé :

Le sujet de cette recherche aborde la question des changements démographiques de la population dans la ville d'Oran, qui influent plus tard sa diversification, entre la population autochtone (les algériens) et les européens colons qui ont suivi l'expansion coloniale française en Algérie, d'où d'Oran est devenue une ville réparties du côté urbain en quartiers bien distingués et en classes sociales dont chaque classe représente une appartenance. Ainsi, cette recherche s'intéresse à la cause coloniales et le flux migratoire européen qui accompagna cette autorité étrangère, en particulier au début des années de la colonisation de la ville d'Oran pendant le 19 S et jusqu'à la première moitié du 20 S (1830-1962).

مقدمة

يرتبط هذا المقال بالبحث في موضوع التركيبة البشرية لسكان مدينة وهران خلال فترة الاستيطان الفرنسي من 1832 وهي سنة دخولها واحتلالها من الفرنسيين إلى غاية سنة 1962، جمعت فيها الدراسة بين الوصف التاريخي ثم التحليل لكشف العوامل المؤثرة، ويمثل الموضوع مساهمة أكاديمية في فتح حقل المعرفة التاريخية للمدينة على مختلف العلوم الاجتماعية، فتح تاريخها على تساؤلات ومناهج العلوم الاجتماعية منها علم الاجتماع، فدراسة تاريخ المدينة الاجتماعي لا يقل في فائدته المرجوة عن دراسة تاريخها السياسي.

تشهد حقبة الوجود الفرنسي بوهران اهتماما متواصلا من الباحثين والأكاديميين الجامعيين الجزائريين منهم والأجانب بمن فيهم الأسبان والفرنسيين لارتباط تاريخ المدينة بهذين البلدين، وإن دل ذلك على شيء فهو يدل على مدى اهتمام البحث العلمي بأهميتها، فنجد الدراسات تشعبت في البحث في عمارتها وعمارتها وتركيبها البشرية وفنونها وآثارها... الخ، وفي خضم هذا الاهتمام الذي تكتسيه وهران، وما عرفته من إرث وتاريخ، حاولنا أن نجعل من دراستها هاهنا عملا علميا بفتح تاريخها على

ميدان العلم والمعرفة، موظفين التراث السوسيولوجي في حقل العمل، إذ تبرز الفترة الفرنسية متشابكة الإشكاليات، فرغم هذه التجربة الطويلة لفرنسا في الجزائر، نادرة الدراسات التي تناولت شيئا من العالم الاجتماعي تلك الفترة والعلاقة القائمة بين الوجود الأوروبي وسكان شمال إفريقيا عموما.

إشكالية البحث:

دراسة التركيبة السكانية خلال الفترة 1830-1962 هي جزء مصغر من دراسات أخرى حول تاريخ الجزائر مع الاستيطان الفرنسي، وهذا البحث يسقط الدراسة عمليا على مدينة ارتبطت بنيتها العقلية بالحياة المادية، كما أن طبيعة شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة والتي مثلت واجهة تركيبة سكانية متنوعة وتعددية ثقافية متنافرة، انعكست حقائنها على أجواء النشاط المختلفة بما فيه الثقافي والسياسي والاقتصادي. فمن هذا المنطلق إشكالية الموضوع هي كالتالي: ما هي العوامل التي ساهمت في تنوع التركيبة السكانية في مدينة وهران، وفيما تجلت مظاهرها اللاحقة ؟

1/ التركيبة البشرية للمدينة:

تلاقي الضفتان المتوسطتان من البحر الأبيض كان محل مواجهات سياسية وثقافية، ونظرا للموقع الجغرافي المميز لوهران على الضفة الثانية من البحر، فقد مثلت منطقة لقاءات ثقافية بين مجتمعات المتوسط، كما أن تركيبها البشرية أثرت على حياتها الثقافية وفق نظرة الباحث صادق بن قادة (1) الذي نشاطه الرأي، دون أن يحقق تلاقيا عرقيا.

(أ) ساكنة المدينة:

توجد في رواية الوباء لألبرت كامو، إشارات واضحة عن أهم الجماعات السكانية التي أثرت تنوع تركيبها البشرية، فعبر الصفحات الأولى من الرواية، وكأن كامو أراد الإشارة إلى هوية من سكن المدينة، عبر نعت الأشخاص بانتماءاتهم الأصلية إلى البلد الأم (2)، لذا، فنلاحظ انطلاقا من ذلك أن مدينة وهران طبعها ثلاثة جماعات عرقية، وهم الجزائريون، الأوروبيون (3) وكحيلة وهران التي لم تتوفر الرواية على إحالات أشارت لها.

ونحدد هنا بعض العناصر التي أدت إلى حدوث التحولات الديموغرافية التي أصابت التركيبة البشرية للمدينة وتمايزها، بالرجوع إلى رواية الوباء.

عامل أول مميز، يتمثل في سياسة فرنسا المنتهجة في تجميع الجزائريين منذ السنوات الأولى من الاحتلال، تطورت لاحقا مع فكرة بيجو في تكوين قرى الأهالي (4). وبطبيعة الحال طبقت هذه السياسة على جزائري المدينة، إذ أمر الجنرال لاموريسيار سنة 1845 بتشكيل قرية للسكان الأصليين في وهران، عرفت بقرية الزنوج (5).

ونتيجة الاضطهاد الذي عاني منه جزائريو المدينة بقيادة الجنرال الفرنسي بويار Boyer (سبتمبر 1831-أفريل 1833)، هجر السكان مدينتهم باستثناء العائلات التركية الكوروغلي، والزنوج الذين لم

يكن لهم أي انتماء قبلي واليهود(6). لتعرف وهران عودة لسكانها القدامى من جديد سنة 1844، بعد أن ابتعدت الحرب عن وهران وجوارها. ومواجهة للوضع فكرت الإدارة في تكوين قرية، لتركيز هؤلاء العائدين وتثبيتهم في موقع واحد ضم العرب والزنج ليسهل مراقبتهم، هذا ما نعتبره عزلا جغرافيا للسكان عن بقية أماكن تواجد الأوروبيين. كما أن تسمية قرية الزنج تعكس بعدا عنصريا على مستوى الفضاء الجغرافي والفضاء السوسولوجي الاثني.

بالنسبة للجزائريين، فلم يكن لهم مكانة في المجتمع المحلي أو الاقتصاد، على حسب ما عايناه من صحف ومجلات فرنسية، جعلنا نلاحظ شبه غياب العنصر الجزائري عن ساحة الاهتمام في الفضاء العمومي بوهران ونستشهد برواية إيمانويل روبليس: (الجزائريين لم يرقوا إلى صفة المواطنين، لم يكن لديهم الحق في التصويت إذن ليس لهم وجود سياسي)(7).

كما أن وهران، وعلى غرار الجزائر وقسنطينة، كانت من المدن الجزائرية التي ضمت جماعة يهودية هامة استقطبتها الواجهة البحرية التي تتميز بها وكذا باعتبارها بوابة للمناطق الداخلية(8)، تنوعت بين اليهود المحليين الذين غادروا أسبانيا قصرا من الصفرين سنة 1492 ليستقروا في مدن مراكش، فاس، تلمسان ووهران(9)، وكما لاحظنا سكنى هذه الجماعة للمدينة كان متذبذبا فترة الغزو الأسباني، فأسبانيا لم تتسامح مع وجودهم إلا على قدر الفائدة المرجوة، فاليهود اعتلوا مكانة هامة من العلاقات بين الأسبان وملوك تلمسان، سفراء ملوك تلمسان وممثلين تجاريين لهم وملوك تنس(10). لكن الوزن الديموغرافي للجماعة جعل الأسبان يعمدون إلى نفي النساء والأطفال، دون فائدة مرجوة على المستوى السياسي والعسكري، حدث ذلك مع نهاية صلاحية الاتفاقية التي عقدها مستشارو شارل كان سنة 1532، أي سنتي 1534 و1535 (11). فوجود اليهود تأثر بدفتي ميزان الإقامة الأسبانية، فمالت دفعة التسامح في فترات احتاج فيها الأسبان لليهود لتخليص المعاملات الدبلوماسية والمالية، ومالت إلى نفهم، عند الحاجة إلى إنقاصهم ديموغرافيا. ومع استرجاع المدينة وحكم الباي محمد الكبير، حاول الباي جذب اليهود للعيش في وهران للمساهمة في نموها، وشهدت المدينة بناء حي خاص بهم أطلق عليه تسمية الدرب مع بداية القرن السابع عشر(12).

بدأت معالم التغير الاجتماعي بمختلف مظاهره تظهر على كحيلة وهران منذ السنوات الأولى للاستيطان الفرنسي، (إذ باشرت الحكومة الفرنسية منذ 1839 إلى تشكيل لجنة مكلفة بمشروع تنظيم شؤون العقيدة والتعليم، لكن، هذه الأخيرة قامت بتصفية كل مزايا استقلالية اليهود في الجزائر نهائيا)(13)، وأنشأت بموجب أمرية صادرة في 9 نوفمبر 1845 مجمعا جزائريا مقره في مدينة الجزائر، قسنطينة ووهران(14)، وطالب يهود الجزائر باحتوائهم ضمن الأمة الفرنسية من الإمبراطور نابليون الثالث إثر سفره إلى الجزائر سنتي 1860 و1865، ورد على ترحيب الكحيلة ممثلة في الرايين الأكبر ماحير شارل فيل أنه يأمل في استفادتهم من المواطنة الفرنسية لاحقا(15) ويلاحظ أن التجنيس الجماعي الذي منحه أدولف كريميوا لاحقا كان المرحلة الحاسمة الثانية بعد تنظيم ممارسة العقيدة

والتعليم من طرف اللجنة المشكلة سنة 1839، أما مرسوم كريميو فأهميته تجلت في إدماج اليهود، أما المرحلة الحاسمة الأخيرة فتمثلت في التمدد بمؤسسات التعليم العام الذي طبع بشدة كحيلة المدينة، هذا التعليم وفق النموذج الفرنسي كان مكملًا لفرنسة اليهود، لذا تأثرت كحيلة وهران بتطور تاريخي جديد على مستوى انتمائها الثقافي نحو تبني هذه الثقافة لمعايير فرنسية اكتسبتها الكحيلة على مدار تعاقب أجيالها، أي أن التحاق يهود وهران بالعالم الغربي كانت نتيجة للوجود الفرنسي في الجزائر ودرجة اختراق عوامل الحداثة الغربية للنسيج الاجتماعي والثقافي التقليدي بمعنى الأصيل لكحيلة وهران.

عامل ثان فرض نفسه على المدينة تعلق بالهجرة الأسبانية، وإن كان الوجود الأسباني في وهران قد سبق نظيره الفرنسي، إذ شهدت الجزائر الهجرة الأسبانية منذ القرن التاسع عشر طوال فترة الاحتلال الفرنسي، أوائل المهاجرين الوافدين إلى المدينة أصولهم من جزر البليار، تبعها هجرات من فالنسا، أليكانت وقرطاجن، استقروا تحديدًا في المدن الساحلية لمقاطعتي وهران والجزائر (16) شكلت الجيل الأول للجماعة الأسبانية التي كونتها عناصر بشرية انحدرت من شبه الجزيرة الأيبيرية وبقيت شديدة التمايز بلغتها، عاداتها وتقاليدها عن فرنسيي فرنسا، هذه الهجرة مثلت يدا عاملة هامة لدى الأوروبيين المشتغلين بالزراعة في منطقة الوهراني ككل خاصة الأسبان الوافدون من ساحل لوفونت وفالنس، وإن كانت الهجرة في البداية موسمية لتتحول إلى هجرة دائمة.

مثل المهاجرون الأسبان الجيل الأول في وهران، أسبان مهاجرون يتكلمون الأسبانية، أما الجيل الثاني فكان الجيل الذي ولد في وهران، جيل الأسبان المتعلمين في مدرسة الجمهورية الفرنسية (17)، التي كانت تعني للجيل الثاني مستقبلًا اجتماعيًا أفضل.

مثلت الجماعة الأسبانية الجماعة الأوروبية الأكثر عددًا، فطبقت عليها سياسة الإدماج قصد الإنقاص من عددها (18)، بحل سياسي يمنح الجنسية الفرنسية، لكن المجنسين الجدد أبقوا على انتمائهم إلى أصولهم الأسبانية في مظاهر من حياتهم اليومية الاجتماعية والثقافية، إذ أشار محافظ وهران في رسالة موجهة إلى وزارة العدل: (...لا يمكننا إلا أن نلاحظ تداولًا مبالغًا فيه بمنطقة الوهراني للغة الأسبانية التي صار يستخدمها حتى الأهالي) (19).

كما سنعترض ذلك خلال تقدمنا في البحث، ونشير في هذه النقطة إلى ما ذكره السيد ألفريد سالينا: (على مدار طويل كانت المواجهة بين الثقافة الفرنسية والثقافة الأسبانية، وتحولت إلى بعد سياسي سنوات 1930 وكادت أن تندلع إلى صراع مسلح مع مجيء الجنرال فرانكو بأسبانيا) (20).

مما يدل أن الثقافات التي كانت متواجدة آنذاك في وهران، عبرت عن مواجهات ثقافية عوض لقاء يسمح بالتعايش، لكن الأسبان وعلى لسان روبليس الذين ترددوا على مدرسة الجمهورية الفرنسية آنذاك أرادوا أنفسهم فرنسيين بالكامل، وعكس ذلك في ثورته المبكرة على أشكال الإقصاء

والعرقية السائدة التي ترسخ للاعدالة. فروبليس هو شاهد على هذا الإقصاء طيلة سنوات الثلاثينات من فترة الدراسة.

استفاد السياسيون من هذا التنوع الديموغرافي مصدرا لتمويل طموحاتهم السياسية، سيما وأن التوجه السياسي الذي طغى على الجماعة كان يساريا لمن اعتنقوا الفكر الاشتراكي خاصة ممتني التعليم، فكانت الدعاية الانتخابية تتوجه إلى الأسبان الفرنسيين كوزن مقابل لأصوات اليهود الواقعة تحت أثر مجتمعاتهم الدينية(21)، وذكر ايمانويل روبليس في Jeunes saisons، دعوة الدكتور مول رئيس البلدية إلى اتحاد الأصول اللاتينية ضد اليهود، وأسس اتحادا لهذا الغرض سنة 1925، بل وجد دعما من الصحيفة الفرنسية الوهراني الصغير، والتي عبر مطالعنا لأعداد منها تبين لنا دعوتها إلى طرد اليهود من المدينة، واستمر الوضع على ما هو عليه مع فترة لابييه لامبارت L'Abée Lambert الذي صعد من هذا الوضع مزمنة مع الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم سنة 1929 والزراعية سنة 1934.

ب) الانتماء الطبقي والتقسيم الحضري للسكان:

كما نفهم من كتاب روبليس نفسه أن المدينة كانت تغرق في صراع بين الطبقة العاملة وتلك المهيمنة اقتصاديا التي مثل فرنسيو فرنسا تركيبها الغالبة، بل نعتقد أن السكان الأوروبيين من غير الفرنسيين من الأسبان والاطاليين والمالطيين كانوا على وعي بالإقصاء الذي يمارسه وجود نظام كولونيالي في الجزائر، ومع مجازر ماي 1945 ضد الجزائريين ترسخ الاعتقاد في استحالة تحقق ما سمي بالأخوة أو توفير أقل مستوى من التعايش بين سكان الجزائر المتمايزين عرقيا، لأن النظام الكولونيالي بأوروبييه رفضوا أي تقاسم مشترك مع غيرهم، في مقابل ذلك لم تلقى صيحات ولا دعوات المفكرين الذين مثلوا نخبة الجزائر صدى في هذا الوسط، وبقيت هذه الإرادة حبيسة صحافتهم ومسرحهم والسياسة المنتهجة تحت مسمى التربية الشعبية في تحقيق التقارب بعيدا عن فكرة العرق. يثير الانتباه، تركيز ألبرت كامو أن يعكس في رواية الوباء هذا التنوع في الساكنة الوهرانية، لكن نلاحظ أيضا العلاقة بين الانتماء إلى طبقة اجتماعية معينة داخل المدينة وطبيعة المنطقة التي تسكنها كل طبقة متلازمان، يبدو ذلك واضحا بشدة من خلال معاينة التقسيم الحضري للأحياء الذي ارتبط بالتطور التاريخي للمدينة، بين أحياء خارجية أي محيطية وهي الأحياء الشعبية والفقيرة التي سكنها خاصة الأوروبيون الأسبان، حي البحرية(22) واحد من الأحياء الشعبية الذي عرف بسكانه من المهاجرين الأسبان المتجنسين، والاقامات السكانية في وسط المدينة، أما قرية الزنوج فغالبية سكانه كانت من الجزائريين. ونحيل الرواية نفسها إلى واقع العالم الاجتماعي سنوات الأربعينات، في ذكره للأوروبيين ذو الأصول الأسبانية خاصة التي تعيش في الأحياء الشعبية وإحالاته إلى الصحفي رومبارت الذي قدم من فرنسا لتغطية موضوع خاص بجريدة فرنسية تصدر في العاصمة حول الشروط الاجتماعية التي يحيا في ظلها الجزائريون(23).

مظهر آخر صوره كامو في روايته عن العالم الاجتماعي لوهرا أنذاك، عن غياب مظاهر التضامن بين سكان المدينة مشيرا بالتحديد إلى السكان الأوروبيين، عندما يتحدث عن زيارة تاررو إلى الطبيب ريو ليقترح عليه تكوينات صحية للمتطوعين (كمظهر من مظاهر الإسعاف أو التضامن الاجتماعي)، هنا نلاحظ أن الفكرة جاءت على أيد شخص غريب عن المدينة، وكان شاهدا على حلول الوباء فيها وهو تاررو في رواية الوباء، وكأنها رسالة إلى سكان المدينة الأوروبيين الذين غابت عنهم مثل هذه القيم النبيلة، وما يؤكد لنا هذا الموقف تردد الطبيب ريو على مقترح تاررو في أن يجد هذا الأخير أشخاصا متطوعين من سكان المدينة.

ونلاحظ وجود علاقة طردية بين النمو الديموغرافي لجماعات المدينة أو كثافتها بمعنى حجمها داخل وهران وبروز هذه الكثافة في بعدها الثقافي، تتوضح هذه العلاقة أكثر مع سنوات 1950، إذ سجلنا البروز الديموغرافي لثلاث جماعات: الجزائريون، الأسبان والفرنسيون، مما يفسر بروز ثلاث ثقافات محلية وإن كانت الثقافة الجزائرية مغيبة في الأوساط الرسمية، واقتصرت حضورها على الوسط المحلي الأصلي وتراوحت في لقاءها مع الثقافات الأخرى خاصة الفرنسية منها بين مقاومة وانفتاح، أما الثانية فتمثلت في الثقافة الأسبانية والثالثة ممثلة في الثقافة الفرنسية التي يتحدث عنها السيد سالينا: (الثقافة الرسمية التي كانت تلقن في المدرسة الفرنسية اللاتينية وتعليمها للكلاسيكيات الأدبية لروسو، فولتير وموليير، ... رغبة في تحقيق الاحتواء، الإدماج، التثاقف بين السكان، فرض قالب موحد لنموها، القضاء على تقاليدها واجتثاثها من أصولها) (24).

في سنة 1956، اعتقد إيمانويل روبليس أن لا حل في الجزائر إلا في نهاية النظام الكولونيالي وتطبيق الإصلاح الزراعي، يسمح بتحول كل سكان الجزائر إلى مواطنين فرنسيين، يتمتعون بنفس الحقوق، ولن يبقى الجزائريون مستغلين من أقلية مهيمنة اقتصاديا وسياسيا، بإدماجهم في الحياة السياسية والاقتصادية، دون أن يتحدث روبليس عن الاستقلال الكلي للجزائر عن فرنسا، جعلت مولود فرعون يكتب في جريدته في الثالث فبراير سنة 1956 طلب فيها من ألبرت كامو وإيمانويل روبليس في ضرورة قول كل ما يعتقدون فيه، أن الحقيقة هي أن الجزائر ليست ملكا للفرنسيين (25).

فمجتمع وهران وبشهادة واحد من سكانها الأوروبيين، السيد سالينا شكل قبل سنة 1962 نموذجا مغايرا سواء لمدين من منطقة الوسط من الجزائر أو منطقة القسنطيني، وعلى حسب ما فهمناه فالمجتمع البرازيلي كنموذج قدمه سالينا قد عرف انفتاحا للأعراق على بعضها على غرار مدينة وهران، التي مثلت ملتقى متعدد الثقافات دون انفتاح عرقي بالضرورة مستشهدا في ذلك بندرة الزواج المختلط. لكن، وهران المتعددة الثقافات ستطبع لاحقا الكتابة الأدبية بألوانها من رواية وشعر لدى الأدباء الأسبان خاصة إيمانويل روبليس وجين سيناك.

2/ الاستيطان الأوروبي لوهرا وجوارها:

يعتبر رونييه كاييه من أوائل المغامرين الفرنسيين الذين خدمت معلوماته المصالح الفرنسية قبل احتلال الصحراء بما وفره من معلومات جغرافية وعرقية وثقافية وعن عادات وتقاليد وطرق معيشة السكان وظروف مدنيهم وغناها وحصونها، ساعدت الحكومة الفرنسية في رسم الخطط الحربية للتوسع في الجنوب الغربي الجزائري(26).

خلال الفترة 1841 - 1847 أعاد الجنرال لاموريسيار تنظيم المدينة تحضيراً للهجرات الأوروبية، فمثلت سنة 1843 بداية العمل الاستيطاني لمقاطعة وهران(27)، أول مركز سكاني وهو قرية السانيا بمقاطعة وهران، وقد تنبه لأهمية المنطقة الجيش الفرنسي آنذاك وعقبه سكنى السانيا من السكان المدنيين(28)، مثلوا عسكر الفيلق السادس والخمسون وأنشئوا مزرعة سنة 1841. ومع بداية 1842 حفز مردود المزرعة السكان المدنيين في الاستقرار بجوارها، تقرر إنشاء قرية ليتمكن بموجبها نزع الملكية للعسكر والسكان الأصليين. وتم بقرار رسمي في العاشر جويلية 1844 الإعلان عن تشكيل قرية السانيا، خدم الاستيطان الجانب الاقتصادي ذو التوجه الرأسمالي للفرنسيين خاصة المستوطنين بالجزائر أكثر من خدمته لسياسة الدولة الفرنسية، فهدف الفرنسيين المستوطنين لقرية السانيا كنموذج كان لغرض الحصول على ملكيات عقارية تمثلت في الأراضي الزراعية، دليل ذلك ما يفهم من موقف بيجو سنة 1844(29)، كما أن (أغلبية المستفيدين من الأراضي كانوا تجارا أو أصحاب أملاك من مدينة وهران)(30)، ومواصلة لسياسة التعمير تم إلى غاية شهر ديسمبر من سنة 1845 بناء ثلاثة مراكز بمقاطعة وهران هي: السانيا، مسرغين، وسيدي الشحي(31).

أما قرية مسرغين فيعود تكوينها إلى سنة 1835 بقرار الجنرال تريزيل في تحويل قبائل المخزن للاستقرار فيها 1837(32)، وفي سنة 1844 وجدت الإدارة الفرنسية في مسرغين مركزا مناسباً لبناء قرية فلاحية، وتم بناء القرية بقرار صدر في 28 سبتمبر 1844(33)، أما القرية الثالثة سيدي الشحي، فقد وقع اختيار الإدارة عليها في منطقة واقعة بين ضريحي سيدي عبد القادر وسيدي معروف على الطريق المفترض وهران-معسكر(34)، أما منطقة حاسي بونيف فقد كانت ضمن مخطط الإدارة، بل كانت هذه المنطقة عامرة بالغبابة أهم قبائل المنطقة قبل صدور قرار الإدارة بتحويلها لمستوطنة فلاحية هي الأخرى(35).

وفي سنة 1848 قامت الجمهورية الثانية، وتوقع فرنسيو الجزائر مع قيامها نهاية الإدارة العسكرية لمناطق الجزائر لكن قررت الجمهورية الثانية الإبقاء عليها إلى جنب إدارتها المدنية مع الاستمرار في سياسة التعمير، هذا المشروع ارتبط في جوهره بسياق اجتماعي تمثل في مطالب المستوطنين العاطلين، تم التصويت على قانون 19 سبتمبر 1848 في إشراف العسكرية الفرنسية في الجزائر على بناء مستوطنات فلاحية تمثل حل الأزمة الاقتصادية التي عانت منها فرنسا تلك الفترة، بمعنى حياة فرنسي الجزائر على تمثيل نيابي في الجمعية الوطنية وبهذا تمكن لاموريسيار لاحقا من تحقيق مشروع المستعمرات الفلاحية، وإن كانت وهران من أهم المقاطعات التي طبعها الصفة

الأوروبية فإحاطة لاموريسيار بخصوصية وهران وما جاورها إذ كان حاكما عسكريا للمقاطعة قبل توليه حقيبة وزارة الحربية.

كما تقرر تنفيذ مشروع خاص بتجميع السكان الأصليين، وسيلة مباشرة للمراقبة خاصة أثناء العشريّات الأولى من الاحتلال، أطلق على مركز هذا التجمع بقرية العبيد، وتم تحديد مكان بناءها بطريقة يتم فيها الفصل بينها وبين بقية الأحياء المخصصة للأوروبيين، أي مثلت عزلا جغرافيا يماثل الإقامة الجبرية.

وبالحديث عن الحياة العلمية كان التعليم ضرورة لاستقرار الأوروبيين عبر فتح مؤسسات تعليمية لتدرس أطفالهم، فمنذ سبعينيات القرن التاسع عشر لاحظنا الطلب الملح لمفتشي الأكاديمية الابتدائية إلى محافظ وهران في الحصول على ملكيات عقارية في القرى ومنها عين العرب سنة 1878 (36) لبناء المدارس، قضية بقيت قارة في الحياة البلدية لوهران سيما وأن عدد الأطفال هذه الفترة من نهاية القرن التاسع عشر الذين فاق سنهم الست سنوات وهي السن القانونية للتلميذ قد شكل صعوبة أمام المسؤولين المباشرين بين قبول كل الأطفال في قاعات الدراسة ومحاولة مفتشي الأكاديمية التحكم في اكتظاظ الأقسام والاقتصار على الأطفال في سنهم القانوني (37)، وللتوفيق بين حاجة المستوطنات الفلاحية لليد العاملة المؤهلة قامت الحكومة العامة بالجزائر بفتح مراكز مهنية في المناطق الريفية لتعليم الجزائريين (38).

وخلال الفترة 1930-1939، طبقت الإدارة الفرنسية في وهران التقنية الحضرية الحديثة في تخطيط المدينة، لتشهد وهران بنايات عمومية أهمها قصر الفنون الجميلة وكلية البنين (39)، لتأخذ المدينة طابعا أوروبيا، كما ساهم ميناؤها في ازدهار النشاط التجاري، ولولا ظروف الحرب العالمية الثانية 1939-1945 كما ذكر روبرت تانتوان لواصلت المدينة نموها الحضري (40).

خاتمة عامة

ميزت مدينة وهران فترة استيطانها من الفرنسيين 1830-1962، تركيبة بشرية متميزة لجماعات اثنية منغلقة، وكان للسياسة الفرنسية المنتهجة فيها دور، أهمها تجميع سكانها الأصليين في وسط حضري أطلق عليه تسمية قرية الزنوج ثم لاحقا المدينة الجديدة مما أدى إلى عزلهم عن الأوروبيين جغرافيا وقطع أية مظاهر للتقارب الاثني.

عززت هذه الظاهرة الحضرية من النظرة العرقية في المدينة وأثرت على العلاقات العامة بين سكانها، حتى أن الثقافة صارت تعبر عن جزء من الأصل الاثني للجماعة عوض تعددية ثقافية غنية، كذلك التسميات العرقية للفضاء الجغرافي والفضاء السوسولوجي الاثني التي عكست بعدا عنصريا في مضامينها، فأطلق كما ذكر سابقا تسمية قرية الزنوج على سكنى الجزائريين تمييزا عن سكنى الأوروبيين، لذا غابت فكرة التعايش في الإقامة الواحدة التي تحفز على تشكيل رباط دائم، وأبسط الأمثلة فالأوروبيين لم يقدموا على تعلم العربية...نوع من القطيعة وبالنسبة لوهران فالقطيعة الكبرى

بين الأوروبيين والجزائريين ترجع إلى فترة أغست بوميل سناتور المدينة سنة 1871 واحد من المؤيدين لهذه القطيعة وخياراتها، وقد كتب عن ذلك في مؤلفه بعنوان *des indigènes de l'Algérie et du rôle que leurs réservent leurs aptitudes, Oran, 1871* معتقدا في استحالة تحقق تواصل بين الأوروبيين وجزائري وهران.

تركيبة المدينة البشرية كان لها بعد سياسي كذلك، إذ ظهرت تنظيمات عرقية، تمثلت في اتحاد اللاتينيين الذي انطبع بشخصيتي الدكتور مول ولأبيه لامبارت، هذا التنظيم الذي كان معاديا لليهود وأقصاهم من كل مظاهر الحياة العامة وأهمها التعليم والوظيفة العمومية وحرص على طردهم من المدينة.

مراجع البحث وإحالاته:

1 مقابلة السيد: صادق بن قادة(باحث بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية)، وهران في 30 أبريل 2013.

2 La peste (P 11_p16), J'enregistre que Camus insiste d'une sorte à l'appartenance communautaire des habitants oranais lorsqu'il cite ses personnes dans le roman, (...c'était un vieil espagnol...)p 16 ou dans (...Tarrow qui venait chez les danseurs espagnols, voisins du Dr Rieux...), il utilise le terme (nos concitoyens...), (...nos concitoyens travaillent beaucoup, mais toujours pour...)p 12 ...je pense pour citer les français de France) Dr Rieux, Mercier et le journaliste Rambert, et arabes pour désigner les algériens de la ville.

3 أراجع إلى الصفحات الأولى من ص 1 إلى ص 30 رواية الوباء، لكانها ألبرت كامو.

4 BENKADA S La création de Médina Jdida, Oran (1745) : un exemple de la politique coloniale de regroupement urbain, [en ligne] consulté le 18/06/2014. URL : <http://www.insaniyat.revue.org/11866>

5 Idem.

6 Idem.

7 Entretien fait avec ROBLES par J - L DEPIERRIS, In: KELLE, Michel, Emmanuel Roblès, enfant d'Oran, Oran, 1988, p 9.

8 AYOUN R, L'exil des juifs d'Afrique du Nord à l'époque contemporaine, In Revue Insaniyat, n° 31, janvier-mars 2006, p 98.

9 SCHAUB J-F, Les juifs du Roi d'Espagne (Oran 1509-1669), Hachette littérature, 1999, p 25.

10 Idem, p 26.

11 Idem.

12 GUERROUDJ T, Les enjeux de l'organisation de l'agglomération oranaise, In Revue Insaniyat, 8è année, n° 23-24, 2004, p 48.

13 AYOUN R, op cit, p 98.

14 Idem.

15 Idem, p 99.

16 KATEB K, Population et organisation de l'espace en Algérie, In L'espace géographique, Tome 32 n° 4, 2003, p 161.

17 L'Ecole de la République Française.

18 Dulphy A L'Algérie entre la France et l'Espagne de 1936 à 1939 : les répercussions de la guerre civile Matériaux pour l'histoire de notre temps 3/ 2010

(N° 99), p. 51-59 [en ligne] consulté le 24/06/2014 URL : www.cairn.info/revue-materiaux-pour-l-histoire-de-notre-temps-2010-3-page-51.htm